

سيدنا إبراهيم عليه السلام ...
«أمة في رجل»
(الجزء ٣)

أ.د. صلاح سلطان
المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في مملكة البحرين

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام
على سيدنا رسول الله، وعلى آله
وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم
الدين، وبعد...

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب
”سيدنا إبراهيم عليه السلام .. أمة في
رجل“ في هذه السلسلة المباركة

”قضايا إسلامية اجتماعية“
يقدم لنا المستشار الأستاذ
الدكتور صلاح الدين سلطان
الفائدة العملية في حياتنا اليومية
من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام
عن طريق الاجتهاد قدر الوسع في
الانتصاف من النفس فيما يتعلق
بنقاط الضعف التي لا يخلو منها

إنسان، سواء كانت في العلاقة
مع الله أو الأبوين أو الزوجين أو
المسؤولية عن الأولاد، أو التواصل
البناء مع المجتمع، وحمل أمانة
الإصلاح في الأمة.

أملنا في الله كبير أن نتقل بهذه
الدراسة من القناعة العقلية إلى
التزكية الإيمانية، ومنها إلى

علاج أهوائنا الداخلية وأعرافنا
الخارجية لتكون وفقا للقرآن
الكريم والسنة النبوية، وملة أئمتنا
إبراهيم عليه السلام.

والله ولي التوفيق...

عبد الله بن خالد آل خليفة

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام
على سيدنا رسول الله، ومن استن
بسنته ودعا بدعوته إلى يوم البعث
والنشور، وبعد....

فبعد أن عرضنا في الجزأين
الأول والثاني معايشة قلبية عقلية
وجدانية، مع السيرة الندية لسيدنا
إبراهيم عليه السلام في القرآن والسنة

النبوية، واستتباط أرقى جوانب
التميز في سيدنا إبراهيم عليه السلام وهي
اكتمال جوانب الالتزام السبعة:
في علاقته بربه، وأبيه، وزوجتيه،
وولده، وقومه، والسلطة السياسية،
وإصلاح المستقبل، يأتي بعده الدور
الحيوي الضروري في إسقاط ذلك
على واقعنا اليومي، فأكبر شيء
يفاجئ الإنسان أن يجد من عابدٍ

في المسجد خلقاً رديئاً خارجه، ومن
حافظٍ للقرآن قاطعاً للأرحام، ومن
صائمٍ في النهار فساداً بالأسحار،
مما يفقد الناس الثقة في المتدينين،
بل ويفتن غير المسلمين وأنصاف
المتدينين عن العودة لهذا الدين،
فإذا أردنا أن نستفيد عملياً من
سيرة «سيدنا إبراهيم عليه السلام .. أمة
في رجل» فيجب أن نعيد النظر جميعاً

في إكمال الحلقات المفقودة أو تقوية
الحلقات الضعيفة، سواء كانت في
العلاقة مع الله لأصحاب الفكر
والأقلام والمبادرات والمؤتمرات
والهيئات الذين لا يخطون خطوات
إلى بيوت الله عز وجل، أو في
العلاقة مع الناس من ذوي المناسك
والعبادات الفردية.

وقد جاء هذا الجزء الأخير من

الكتاب مصارحة مع النفس، وصدقاً
في رفع الواقع، ومنهجاً في علاجه
لإصلاح الفجوات الحادة في حياتنا
اليومية سواء الروحية أو الفكرية أو
الخُلُقِية أو الاجتماعية أو الاقتصادية
أو الإعلامية أو السياسية؛ خوفاً على
إخواننا وأخواتنا أن تكون نقطة
الضعف الوحيدة في حياة أحدهم
سبباً في هلاكه - والعياذ بالله - في

الدنيا والآخرة، تماما مثل الطالب الذي ينجح بامتياز في كل المواد ما عدا مادة واحدة يرسب بسببها، أو مثل القاتل الذي يحكم عليه بالإعدام أو السجن المؤبد لأنه خالف مادة واحدة من القانون الجنائي، ولا يشفع له التزامه بكل القوانين والدستور في بلده. هذا هو الهدف الرئيسي في هذا الجزء الأخير من

كتاب «سيدنا إبراهيم عليه السلام .. أمة
في رجل».

والله نرجو أن يشرح الصدور لعلاج
أمراض النفس، وأهواء القلب، حتى
نلقاه راضيا عنا أجمعين ..

والله ولي التوفيق ...

أ.د. صلاح سلطان

بيروت ١٤/٢/٢٠٠٩م

المطلب الثالث

فجوات وحلول من سيرة

سيدنا إبراهيم عليه السلام

إنني أدعو إخواني وأخواتي إذا
ذكرنا سيدنا إبراهيم عليه السلام في
صلواتنا ألا يكون التشهد فقط
لتصح به الصلاة، وإنما نصنع
به الحياة، إن الحياة اليوم فيها
الكثير مما يحتاج إلى إصلاح

وتغيير، وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام
نموذج التكامل في علاقته بالله،
بأبيه، بزوجتيه، بأولاده، بمجتمعه،
بالنظام السياسي، بحاضره
ومستقبله، فليراجع كل منا نفسه
أين الفجوة التي تباعده من ربه
سبحانه وتعالى؟ وما منا من أحد
يخلو من فجوة سواء كانت عميقة
أو ضحلة، واسعة أو ضيقة، كبيرة

أو صغيرة، والشجاع من انتصف
من نفسه ليدرك الفجوة الأولى
بينه وبين ربه فيعالجها وينتقل إلى
غيرها متمثلاً هذا النموذج سيدنا
إبراهيم عليه السلام أمة في رجل.

ومن هذه الفجوات التي أراها
خلال جولاتي في أرض الله بين
الشرق والغرب، والشمال والجنوب،
وبلادنا الإسلامية، والعالم الغربي،

وأراها رأي العين، أو تأتيني في شكل
سؤال أو تحكيم بغرض الوصول إلى
حل لها، من ذلك ما يلي:

١- نجد في واقعنا المعاصر شخصا
متفوقاً علمياً، لكنه قاسي القلب،
بعيد عن نور الإيمان، لا يبصر الوالدين
أو يلبي الأذان أو يستصحب الأذكار
في الليل والنهار، كما قد نجد المتعبد
المتحنث في المساجد لكنه ضعيف

علميا أو أخلاقيا أو بدنيا.

٢- نجد في مجتمعنا زوجين

سعيدين مهتمين بأولادهما دراسيا،

ويفخرون بأنهم يعرفون لغات

شتى، ولا يحسن أحدهم أن يقرأ

آية واحدة من القرآن، ولا يهتمون

بما يصيب المسلمين حولهم في أي

مكان.

٣- نجد في بلاد شتى الداعية

المتحرك في كل مكان لخدمة دينه
ورسالته، لكنه تارك لزوجته وولده
دون تربية وتزكية كما يحدث
الآخرين.

٤- نجد كثيرا إخوان الصفا على
قلب واحد، فإذا خرجوا لإدارة عمل
تفرقوا أيادي سبأ، شذر مذر.

٥- نجد في قنواتنا الإعلاميَّة المسلم
الناجح في علاقاته ومهاراته، لكنه

شديد التقصير في علاقاته وبره
بوالديه وأصدقائه وأرحامه.

٦- هناك من يهتم بهموم مجتمعه
ووطنه في العراق وأفغانستان،
وفلسطين والسودان، وفي كشمير
والشيشان، وفي الهند وفي
الصومال، فهو فارس بالنهار لكنه
فاسد بالليل، كثير النوم عن قيام
وصلاة فجر وأذكار وورده اليومي.

٧- هناك من يهتم بعبادته وزوجته،
وأولاده وأهله وأرحامه، لكنه قد
ينسى فقراء مجتمعه، والمحتاجين
في عالمه.

٨- هناك من تظل توقُّره حتى
يقترض منك، وتعامله بالدينار
والدرهم فتفاجئ أنه شره إلى المال
لا يوفي بوعده ولا عهد ولا ميثاق.

٩- في واقعنا الكثير الذي يعجبك في

الرضا ويؤمك في الغضب، ويرضيك
في الحضر وتنكره عند السفر،
ويتواضع عند الفقر ويستكبر عند
الغنى، وهينٌ لينٌ في وظيفته مع
أصدقائه وزملائه فإذا عينٌ مسئولا
عليهم أساء إليهم وحولهم إلى
أعداء.

١٠- هناك من هو نسمة فيحاء في
كل المعاملات لكنه ينطوي في نفسه

على فجوة أخلاقية في لعبه الذي
يسيل وراء الغانيات.

١١- هناك من تتمسك بالحجاب
في طهر وعفاف، فإذا جاءت إلى
حفل زواج لها أو لغيرها عادت
إلى التبرج والإسفاف، أو سافرت
للنزهة أو التعليم أو العلاج قلّدت
المجتمع الجديد في السفور والجرأة
على الرجال.

١٢- هناك من يدعو على المنابر أو يكتب في الجرائد والمجلات أو ينادي في الفضائيات على تيسير التكاليف والإجراءات في زواج البنين والبنات لإشاعة الحلال وتيسير الزواج وحفظ الحرمات، لكنه عند زواج ابنه أو ابنته مسرف في الطلبات، مرهق في الإجراءات.

١٣- هنالك الكثير من شبابنا

وفتياتنا المتحمسين والمتحمسات
الذين يحرصون -بدقة بالغة- على
ألا يتركوا شيئاً من النوافل، لكنهم
يضيعون الفرائض والواجبات في
التفوق العلمي والتعامل الأخلاقي
والتواصل الاجتماعي، فإذا وجدوا
من أحد تقريظاً في سنة مندوبة
أو هيئة مستحبة في الصلوات
هاجوا على الغير كأنهم قد ارتكبوا

المحرمات.

١٤- هناك من يقود الطائرات ويعلو
الأجواء ويحصل على جوائز فضية
وذهبية وماسية ويزهو بأنه يجوب
الأجواء، لكنه لم يخطُ خطوات إلى
جاره القريب والصاحب بالجانب
واليتيم من ذوي الأرحام على بعد
أمتار من بيته.

١٥- هناك من تأنس لمعاملته

وتعجب برأيه وتبهرك حكمته، لكنه في المجالس الإدارية إذا تعارضت المصالح العامة مع مصالحته الخاصة يلوي عنق الحقائق ويستفرغ جهده في معارضة ودفن أي قرار يمس مصالحه الخاصة على حساب مصالح وطنه ومجتمعه وإخوانه.

١٦- هناك من تعايشه دهرًا فلا

تتكر عليه شيئاً حتى إذا اختير إلى
منصب رفيع تعرف منه وتتكر كأن
إشعاع الكرسي أفسد أخلاقه وضيع
ثوابته.

١٧- نجد في واقعنا من الزاهدين
عند فقرهم حتى إذا ذاقوا طعم
الغنى انفتحت شهواتهم على عالم
من الشره فلا يملأ أعينهم شيء،
ولا يشبعون من ثراء.

١٨- يبدو كثير من الشباب في غاية الأدب والخلق في موقعهم مع آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأساتذتهم حتى إذا اجتمعوا مع زملائهم، وخلَّوْا إلى شياطينهم قلَّدهم في الخير والشر وتابعوهم في سوء الكلام والتدخين والافتخار بالتفاهات والكذب في سرد المواقف للفت الأنظار والإسراف في النكات

الهابطة، فإذا عادوا إلى البيت لا
تشك لحظة في حياتهم وأديبهم، أو
أن لهم وجهاً آخر مع أصدقائهم.
١٩- هناك من يهشُّ لكل من يلقاه
إلا زوجته أو والديه، وهناك من
تبشُّ في وجه كل أحد إلا زوجها أو
والديها، ويُعرف كلُّ بين الأخلاء
بالظُرف والخفة والسهولة والليونة
فإذا عاد أحدهما إلى أهله عاد فظاً

غليظ القلب جاف في الطبع سليط
اللسان.

٢٠- رأيت عددًا ليس بالقليل ممن
يُعرفون بالتقوى أو الدعوة أو العلم
إذا تزوج امرأة أخرى يقابل انفعال
زوجته الأولى الشديد - وهو أمر
فطري لم تقبله فاطمة ولم ترضه
عائشة رضي الله عنهما - لكنه بدلا
من استيعاب هذه الأزمات يركن

بسرعة إلى الزوجة الجديدة التي يسعدها انفعالات الزوجة الأولى وربما تزكيها بشكل أو بآخر ويقع الزوج المتحنث والمتعبد أو الداعية أو العالم في ظلمات الظلم والحيث وعدم الوفاء لزوجته الأولى، ويتبع ذلك إهمالا لأولاده منها وربما دفعه إلى حالة من التناقض وانفصام الشخصية وعدم الثقة في أحد،

فيكون قد أوردتهم مهالك الفتن
بعدم الصبر الجميل الطويل حتى
يعدل فيما اختاره لنفسه، حتى لا
يلقى ربه وشقه مائل من ميله إلى
الجديدة وتعليق الأولى، وإضاعة
الأولاد وفي الحديث الذي رواه
النسائي بسنده عن عبد الله بن
عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء

إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مِنْ يَعُولٍ» (سنن النسائي الكبرى، أبواب حقوق الأزواج، أثم من ضيع عماله، ٣٥٣/٥، ورواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بسند صحيح، ٦٧/١١، وأورده الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٤٨٠).

٢١- هناك من اشتهر بالمروءة والشهامة مع الناس وهو أكثر قومه سعياً لخدماتهم وحلاً لمشكلاتهم ومساندة في أزماتهم، لكن المفاجأة

أنه لا يساعد أهل بيته أباً وأماً،
أخاً وأختاً، زوجة وولداً في أبسط
احتياجاتهم، متناسياً ما رواه
الترمذي بسنده عن عائشة رضي
الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ

لِأَهْلِي» (سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول

الله، باب فضل أزواج النبي ﷺ، ١٠/٢٩٩، حسن غريب

صحيح، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم:

٢٨٥، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

٢٢- هناك الأمين على الأموال
الذي لا تتحرك نفسه إلى عرض
الدنيا ولو كانت أوزان الجبال، لكنه
ينهار أمام شهوة الجنس.

٢٣- هناك من تراهم في المساجد
في الصف الأول بل يحرصون أن
يكونوا دائماً خلف الإمام مباشرة
ونفاجئ عندما تأتينا شكاوى مرة

من عُمالهم بسبب عدم إعطائهم
حقوقهم المالية، أو شكوى من زوجته
واحتقاره لها تابِعاً لعرف خاطئ
يجعل من الرجل سيداً وزوجته أمة
بالقهر والاستبداد، وليس بالحب
والوداد. وقد نفاجئ من شكوى
جيرانهم أو أولادهم أو شركائهم
في التجارة، وإن كان ذلك ليس
ظاهرة لكنه موجود بنسبة ما في

مجتمعاتنا.

٢٤- لطالما رأيت في الشرق عامة،
وفي الغرب خاصة، لدى كثير
من المسلمين عصبية ذميمة في
الشهادة والانتخاب، فمع يقين
المسلم أن المرشح الآخر أفضل
من مرشح عائلته أو جماعته أو
مذهبه أو بلده أو لونه أو تخصصه
أو جنسه إلا أن الطبع يغلب الشرع،

والهوى يعلو على الفطرة، ويصفي
الإنسان إلى الشيطان ويدع وراءه
نصوص القرآن، كما قال تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ
فَقِيرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا
تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن

تَلَوُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

(النساء : ١٣٥) ، وينسى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا
أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنفال : ٢٧) ، وينسى أيضا تحذير

النبي ﷺ رغم شدته على قلب كل

مؤمن ، فقد أورد البيهقي عن ابن

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا مِنْ

الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ أَوْلَى
بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
نَبِيِّهِ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ

الْمُسْلِمِينَ» (السنن الكبرى للبيهقي، كتاب

آداب القاضي، باب لا يولي الوالي امرأة ولا فاسق

ولا جاهل، ١٥/١٠٠، وأورده ابن عدي في الكامل في

الضعفاء، الرقم: ٢١٩/٣، وقال: فيه الحسين بن

قيس وهو إلى الضعف أقرب).

٢٥- قد يكون الإنسان من الشاكرين

الحامدين في السراء حتى إذا

اختبر بشيء من البلاء يصاب

بالهلع والجزع، كما قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي

أَكْرَمَنِي ﴾ (الفجر: ١٥)، وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا *

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾

(المعارج: ١٩-٢٠) ، فإذا أصيب في ماله

أو صحته أو منصبه أو ولده أو أهله

ينقلب جزعا ساخطا على قضاء

ربه كما قال تعالى، فكأنه فقط مع

الله إذا أوسع له العطاء ساخطا

عليه إذا اختبره بشيء من البلاء،

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ

أَصَابَهُ خَيْرٌ اِظْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ
أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ
خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ (الحج: ١١) .

٢٦- هناك من المعلمين والأساتذة
والمربين من يشار إليهم بالبنان في
سعة العلم، وروعة العرض، وقوة
الاستيعاب للمتميزين والمتوسطين
والمتعثرين، لكنه ما إن يعرض له

طالب بسؤال محرج أو يخطئ في
حقه خاصة أمام الطلاب، حتى
ينقلب من دور المربي والمعالج
لأمراض طلابه إلى دور ذي السلطة
المنتقم، ويترك الفضل والعدل إلى
الظلم والطغيان، ويتعقبه حتى
يرسب كل عام، ويترك الدراسة
إلى الفشل وعالم الإجرام، ويكون
الأستاذ قد حوّل المعاهد التربوية

إلى مؤسسة عقابية.

هذه الفجوات أخبرنا النبي ﷺ أنها قد تكون أقرب الطرق إلى عذاب الله عز وجل والوصول إلى الإفلاس من الخير رغم النجاح في جوانب أخرى، لكن عورة من العورات أو سلبية من السلبيات قد تكون هي الطريق إلى الخسارة في الدارين، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

أ) ما أورده الهيثمي في الزواجر
بسنده عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا الْمُفْلِسُ
فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ
وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «الْمُفْلِسُ
مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ
شْتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا

وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ
 فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ
 حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَتِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ
 يَقْتَصَّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَخَذَ مِنْ
 خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي
 النَّارِ» (الزواج للهيثمي، رقم: ١/١٨١، والحديث
 صحيح).

وهناك رواية بلفظ «أَتَدْرُونَ مَا
 الْمَفْلِسُ؟» (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة

والآداب، باب تحريم الظلم ، ١٦/١١٦)، وهي
أبلغ لأن صيغة السؤال جاءت باسم
الاستفهام «ما»، حيث تدل على غير
العاقل فكأن الإنسان إذا فعل الخير
في جوانب وبقيت عنده فجوة في جانب
قد صار مفلسا تماما. كما لو تخيلنا
طريقًا واسعًا ممهدًا ناعمًا سلسًا،
لكنك فجأة تجد فيه خندقًا واسعًا
عميقًا تتساقط فيه كل السيارات،

هل يمكن لعاقل أن يرضى السير في
هذا الطريق، فكيف نسمح لأنفسنا
بفجوات من الأهواء المدفونة أو
الشهوات المفضوحة التي تعطل سيرنا
إلى الله تعالى؟! وهل يمكن لرجل أن
يبقى زوجة مطيعة، جميلة، رقيقة،
ماهرة، مدبرة، ولوداً، لكن فيها
عيباً واحداً، أنها تنقل أسرار حياتها
الخاصة إلى أمها وصديقاتها؟! أو

تتساهل في كلمات الحب مع أصدقاء
زوجها أو زملائها في العمل، فضلا
عن ارتكاب نوع واحد من الموبقات،
وهل يقبل أستاذ لديه طالب متفوق^{٢٨}،
بارع^{٢٩} في كل المواد، لكن له علاقات
سرية رديئة مع البنين أو البنات؟!
وهل يقبل صاحب شركة موظفًا
سريع الإنجاز، حسن المقال، طيب
الأخلاق مع كل من حوله، لكنه في

الوقت نفسه يعطي أسرار الشركة
لشركة أخرى منافسة، أو يأخذ
عمولات من المتعاملين من الشركة،
أو له علاقة غير شرعية بإحدى
الموظفات؟!.

الحق أنه إذا وجدت فجوة واحدة
من هذه الفجوات في حياة أحد
الرجال أو النساء فإنها تكفي لإنهاء
الحياة الزوجية، أو الوظيفية أو مع

الأصدقاء، وهي هي الحالة نفسها
في العلاقة مع الله تعالى.

(ب) روى مسلم بسنده عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رِبَطَتَهَا،

فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعَهَا تَأْكُلُ مِنْ

خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَ هَزْلًا»

(صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم

تعذيب الهرة ونحوها من الحيوانات، ١٦/١٤٨).

هذه المرأة التي لا نعرف اسمها ولا مكانها ولا زمانها قد تكون أعبد الناس في محرابها، وقد تكون أرقى الناس في حديثها ومقالها، وقد تكون أوسع الناس علماً بين قومها، وقد تكون أوصل الناس لأرحامها، ولكنها حبست هرة حتى ماتت، وعذبت روحاً حتى نفقت؛ فكان جزاؤها بسبب هذه الجريمة فقط

أن دخلت النار، وهذا أمر يجب أن يتوقف أمامه كل من يعمل في أية سلطة، أو مخفر شرطة، أو سلك قضائي، لأنه يسعى بنفسه إلى قعر جهنم بظلم إنسان واحد، فيقتص الله منه بعدله وحوله وطوله، والواجب هنا هو المبادرة إلى التوبة النصوح والتي من شروطها إذا تعلق المظالم بحق الغير أن يستحلّه

من حقه، وأن يستسمحه في مظلّمته،
ولو أن يعوضه حتى يشفي صدره،
ولا يجوز أن نصفي إلى هوى النفس
ووساوس الشيطان أن لنا أفعالاً من
الخير نحن لها فاعلون تغطي على
هذه المظالم في حق الآخرين، لأن
الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف : ٤٩)، فمن
ظلم فله الحق أن يقتص له أو

يستسمح، وهذا حبيبنا ﷺ مع رفته
وعدله وإنصافه قبل أن يلقي الله
يجمع المسلمين جميعا ويقول لهم:
«اللهم إنما أنا بشر، فأیما رجل من
المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدته،
فاجعلها له زكاةً ورحمةً» (صحيح مسلم،
كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي أو
سبه أو دعا عليه وليس هو، رقم ٢٦٠١).

فهذا هدي نبوي يجب أن يقتدي به

كل من يخشى الله ويخاف عذابه
ويحذر من سخطه ويشفق من
لعنته، حيث يقول سبحانه:
﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
(هود : ١٨) ، وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ
خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه : ١١١) ،
وهي خيبة في الدنيا والآخرة.

(ج) وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: «قال رجل: يا

رسول الله إن فلانة يُذكر من كثرة
صلاتها وصيامها وصدقها، غير
أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال:
هي في النار. قال: يا رسول الله،
فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها
وصدقها وصلاتها، وأنها تصدق
بالأثوار (أي قطع) من الأقط، ولا
تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في
الجنة» (مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة

رضي الله عنه، ١٨٤/٣، وأورده الألباني في السلسلة
الصحيحة، رقم: ٣٦٩/١، إسناده صحيح).

هذه المرأة أيضا التي ذكرت للنبي
ﷺ بتزكية عالية أنها صوامة قوامة،
قد يكون لها من جوانب الخير
الأخرى التي لا يعلمها إلا الله، لكن
فيها عيباً واحداً وهي فجوة خطيرة
أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقط
ليس بأفعالها ولا بمكرها إنما مجرد

كلمات باللسان، وهي أقل جرماً من
القتل الذي ورد في الحديث السابق،
ومع هذا أخبر النبي ﷺ أنها في
النار، و يروي الترمذي بسنده عن
مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
«كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ
يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي
الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ،

قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلَّهُ،
 قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ
 بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ:
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ
 بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ
 يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،
 أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ
 السِّنْتِهِمْ»، (سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن

رسول الله، باب ما جاء في صفة الصلاة، ٣٤٨/٧،

حسن صحيح).

فحديث معاذ رضي الله عنه كأنه
يشير إلى خطورة اللسان وآفاته
العظام، حتى يورد صاحبه النيران.
مع ما قد يوجد عند هذا الإنسان
من سلامة صدر وعدم القصد
إلى إيذاء غيره، لكنه إذ لم يضبط
لسانه كبه على وجهه في النار.

(د) ما رواه مسلم بسنده عن سهل بن

سعد الساعدي قال: قلنا: «يا رسول
الله ما أجزأنا اليوم أحد كما
أجزأ فلان، فقال: رسول الله ﷺ:
أما إنه من أهل النار، فقال: رجل
من القوم: أنا صاحبه أبدا، قال
فخرج معه، كلما وقف وقف معه،
وإذا أسرع أسرع معه، قال فجرح
الرجل جرحا شديدا، فاستعجل
الموت فوضع نصل سيفه بالأرض

وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على
سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل
إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد
أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟،
قال : الرجل الذي ذكرت أنفا أنه
من أهل النار، فأعظم الناس ذلك،
فقلت : أنا لكم به، فخرجت في طلبه
حتى جرح جرحا شديدا، فاستعجل
الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض

وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه
فقتل نفسه، فقال: رسول الله ﷺ،
عند ذلك إن الرجل ليعمل عمل أهل
الجنة فيما يبدو للناس وهو من
أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل
أهل النار فيما يبدو للناس وهو من
أهل الجنة» (صحيح مسلم، كتاب الإيمان،
باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل...
رقم: ١١٢).

هذا الحديث العجيب الذي أبلى فيه هذا الصحابي بلاء حسنا في اليوم الأول من معركة خيبر حتى قالوا: «ما أجراً منا أحد كما أجراً فلان» وكانت المفاجأة للجميع: إنه من أهل النار، وفي الحديث أن ذلك أصاب الناس بالذهول مما دفع أحد الصحابة أن يستكشف خبره فراه مع هذه الشجاعة النادرة لم

يتحمل جرحه فقتل نفسه واستحق
أن يكون من أهل النار.

هذه الجولة بين الأحاديث النبوية
سواء في حديث المفلس أو المرأة التي
عذبت هرة أو التي آذت جيرانها
أو الشجاع الذي قتل نفسه تصب
في أمر واحد أن هناك فجوة في
شخصية كل واحد منهم حالت بينه
وبين رضا الله والجنة بل أوردتهم

النار، ونحن تربوياً بعد دراسة سيرة
«سيدنا إبراهيم عليه السلام أمة في رجل»
يجب أن نأخذ هذه الصورة الكاملة
في جوانب الالتزام السبعة لنسد هذه
الفجوات في حياتنا، وبالقطع لن
نصل إلى كمال الالتزام مثل سيدنا
إبراهيم عليه السلام فهو النبي الرسول
المعصوم، لكن على الأقل أن نجاهد
أنفسنا وشيطاننا حتى لا تكون

عندنا خصلة من النفاق أو واحدة
من الكبائر أو السبع الموبقات، وإن
بقي اللمم من الزلات مما يرجى
معه النجاة بين يدي الله تعالى،
كما يقول سبحانه عن المؤمنين:
**﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ
وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ
وَاسِعُ الْمَغْضِرَةِ﴾** (النجم: ٣٢) .

وهذا هو الدرس العملي الأول الذي

يجب أن نستحضره في كل صلاة
عندما نذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام
في التشهد وفي كل آية يرد فيها ذكر
سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ليكن همنا
الأول كيف أتبع ملة سيدنا إبراهيم
عليه السلام حتى لا أسفه نفسي، كما قال
سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ
إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ
وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾

(البقرة: ١٣٠). فنكون شجعانا في معرفة

أهم جوانب الخلل والفجوات والعلل

قياسا على هذا النموذج المتكامل

من سيرة سيدنا إبراهيم عليه وعلى

نبينا كمال الصلاة والتسليم.

كل هؤلاء يحتاجون لإعادة بناء هذه

الجوانب المفقودة قبل أن نلقى الله

فتجد أنفسنا في بوتقة غضب الله

أو في قعر جهنم والعياذ بالله، مثل
المجرم الذي يخالف مادة في القانون
ويعاقب بالسجن مدى الحياة، ولا
يستطيع أن يدعي التزامه بالقوانين
ما عدا مادة واحدة؛ حتى ينال
البراءة من جرمه.

نريد أن نصنع حياتنا من جديد في
كل جوانبها، كما نرى إقبالاً على
الصف الأول في المسجد، نريد أن

نرى مؤسسات وشركات إنتاجية
ناجحة مثالية على منهج الإسلام،
كما نرى أبا وأختاً في غاية النضج
العلمي، نريد أن يكونا في غاية
الحب القلبي إذا تزوجا، والتفاهم
العقلي والتناغم الجسدي .

نريد أن نرى إحساساً بهموم من
حولنا فتعيش هموم أمة لا هموم
أمة كما كان سيدنا إبراهيم عليه السلام

«أمة في رجل».

أما كيف نتغير عملياً لإحداث
التوازن الذي فصلته في هذه
الدراسة فلعلي أحيل - منعا
للتكرار- إلى هذه الكتيبات التربوية
العملية الواقعية التي أفتها لخدمة
من يسعون مخلصين جادين لتغيير
أنفسهم أولاً، ثم إصلاح مجتمعهم
وإعزاز أمتهم وإنقاذ عالمهم ثانياً،

ومن هذه الدراسات التربوية:

- (١) الصراع مع الشيطان.
 - (٢) الصيام لجام الشهوات الأربع.
 - (٣) ثوابت الإيمان بعد رمضان.
 - (٤) الوسائل العملية الخمسة لإصلاح قسوة القلوب.
 - (٥) هجرة الدعاة أم الرعاة.
- كُنْ أُمَّةً وَأَنْتَ رَجُلٌ، وَاتْرِكْ وَرَاءَكَ
بَصْمَةَ رَبَانِيَّةٍ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ

وتعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً

فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الزخرف : ٢٨)، ترك وراءه كلمة

الله يهتدي بها الناس، لا تذهب

إلى مسجد إلا وتترك نوراً «كلمة

لله»، مكتبة للقرآن مفتوحة، كتاباً

موزعاً، خيراً منتشرًا، مثلاً نادراً،

كفالة ليتيم، إحساساً بإخوانك في

فلسطين، مشاركة في رآب الصدع
في العراق بعد أن تمزق، نريد أن
نساهم وأن نشعر أن هذه أزممتنا في
بيتنا وليست أزمة خارج عالمنا .
أسأل الله أن يهدينا لأرشد أمرنا،
وأن يجعلنا على ملة «سيدنا إبراهيم
عليه السلام» أمة في رجل».

الخلاصة

إذا أردنا إصلاح واقعنا المعاصر فلا بد أن نعالج الفجوات الحادة في حياتنا التي تباعدنا عن الاقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام في اكتمال جوانب الالتزام السبعة، حيث نجد من يهتم بالجانب الروحي على حساب الجانب الفكري، ونجد من يهتم بالمفردات العلمية وهو قاسي

القلب، ومن يهتم بعقله وقلبه وهو
جاي في الخلق مع أب وأم، وأخ وأخت،
وزوج وولد، وجار ورحم، وأصدقاء
وخلان، وهناك من تناقض شعائره
التعبدية معاملاته اليومية، وهناك
من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابته
فتنة في أهله، أو ولده، أو بدنه، أو
ماله، أو حرّيته، انقلب على وجهه،
وهناك من هو بارع في تجارته،
فاشل في علاقته مع زوجته، وتربيته

لولده، وهناك من يُعرف بكل صنائع
الخير في فقره دون غناه، في رضاه
دون غضبه، في صحته دون مرضه،
في شخصه دون مشاركة في الإصلاح
الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي
والسياسي، وهذه كلها فجوات تحتاج
- بغاية الجدية - إلى استدراك
الأمر قبل أن نلقى الله فتكبُّ على
وجهنا في النار، في الوقت الذي

كان في الإمكان حُسن الاقتداء
بملة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهدى
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير المرسلين،
كي نسد هذه الفجوات في حياتنا
أجمعين.

المحتوى

- ٣ تقديم.
- ٧ المقدمة.
- المطلب الثالث: فجوات وحلول
- ١٤ من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام.
- ٧٩ الخلاصة.
- ٨٣ المحتوى.

